العراقي الراحل سعد شاكر منح فن الخزف ملامح خاصة

فقدت الحياة الفنية في العراق فناناً آخر من كبار فنانيها هو الخزّاف سعد شاكر، الذي يعدّ المؤسس الفعلي لهذا الفن بطابعه المحلي في العراق، جامعاً فيه بين"عمل الفنان"و"حرفة المحترف". وقد أغنى الحياة الفنية في العراق بأعمال كبيرة كرس فيها اتجاهه ومنحاه في هذا الفن... متجاوزاً، في ما قدّم، ذلك"الطابع النفعي"الذي لحق بهذا الفن.

يوم جاء الفنان القبرصي فالنتينوس الى بغداد أواسط خمسينات القرن الماضي ليؤسس"قسم السيراميك"في"معهد الفنون الجميلة"فيها، كان من بين أوائل طلبته فيه سعد شاكر 1935-2005 الذي سيتميز على أقرانه وزملائه في هذا الفن... وبتشجيع من أستاذه اندفع، بعد تخرجه في هذا القسم العام 1959، ليكمل دراسته في هذا"الفن الجديد"على الحياة التشكيلية في العراق، فذهب إلى لندن ملتحقاً بالمدرسة المركزية للفنون الجميلة، ليحصل منها على الدبلوم في فن السيراميك العام 1963 مواصلاً، بعد ذلك، عمله في المدرسة ذاتها مساعداً فنياً، بداية... ثم محاضراً. عاد بعدها إلى بغداد ليدرّس هذا الفن في القسم الذي تخرج فيه، ويقيم أول معرض شخصي لأعماله العام 1967 وقد أصبح عضواً في عدد من الجمعيات الدولية للفنون. ثم انتقل للتدريس في قسم السيراميك في اكاديمية الفنون الجميلة، حتى أصبح رئيساً للفرع، بعد أن تقاعد أستاذه"فالنتينوس"، عائداً إلى قبرص، وفي السنوات الأخيرة تفرغ كلياً للعمل في مشغله الخاص حتى رحيله قبل ايام.

أثناء دراسته في لندن اكتسب سعد شاكر من المهارات الفنية والعملية في هذا"الفن الجديد"على واقع الفن الحديث في العراق ما جعله يعود من هناك فناناً متمكناً من الناحيتين العملية والنظرية... مشاركاً أستاذه"فالنتينوس"التدريس في القسم الذي سيصبح واحداً من الأقسام المهمة في"أكاديمية الفنون الجميلة"... فتخرج على أيدي هذين الأستاذين عدد من"الخزّافين"المتميزين منذ ستينات القرن الماضي... مشكلين"مجموعة"لها كيانها الفني، فضلاً عما يتميز به كل منهم من منجز أخذ طابعه الخاص، على رغم ان بعض التشكيليين، رسامين ونحاتين، كانوا ينظرون إلى هذا"الفن"كونه"فناً ثانوياً"له"وجوده النفعي"أكثر من"حضوره الجمالي"? أي ان وظيفته"وظيفة استخدامية"أكثر من كونه"فناً ذا طابع جمالي صرف".

غير ان انتقال"الخزّافين العراقيين"، وفي الصدارة منهم سعد شاكر إلى ما يتجاوز بهذا الفن صفته"الوظيفية"، إلى"الجداريات"و"النحت الفخاري"الأمر الذي سيشكل قفزة مهمة في تاريخ هذا الفن في العراق المعاصر... ليصبح"فن الخزف"في العراق من الفنون المهمة، من جانب ابداعي.. إلى جانب التطور والتفوق الذي حققه فنانوه بحيث أصبح من أهم فنون الخزف في الفنون العربية، ونظيراً للنماذج المتقدمة منه في كثير من دول العالم المعروفة بهذا الفن، إذ أوجد سعد شاكر وأستاذه فالنتينوس لهذا الفن تقاليده الجديدة التي اكتسبها عنهما طلابهما، مشكلين بها/ ومن خلالهما"تقاليدهم الشخصية"التي ستجعل منهم جيلاً متميزاً من الخزافين، يشكلون اليوم، بأعمالهم المجدّدة فناً وأسلوب عمل، اضافات فعلية إلى أعمال أساتذتهم.

ويصبح سعد شاكر واحداً من أبرز الخزّافين العراقيين، منذ الستينات... متميزاً بعمله الفني الذي جعل له"خصائصه"الدالة على"شخصيته الفنية"، بما فتح لنفسه من آفاق الرؤية والعمل، مشكلاً من خلال تراكم الخبرة والتجربة"تراثاً"هو، في واقعه، جزء أساس من تراث الفن العراقي الحديث... هذا الفن الذي استخلص الكثير من تقاليده ومزاياه من تراث حضارة وادي الرافدين، هذه الحضارة العريقة بتقاليدها الفنية... فضلاً عما استمده من"التراث الحاضر"لمجتمع امتازت حياته بما تتفرد به من تقاليد وخصوصيات... فأصبح حتى ما كان يُعدّ"وظيفياً"من هذه الأعمال عملاً ذا طابع فني خاص، وخصوصيته هذه نابعة من انتمائه إلى"بيئة"و"تراث"هما المكونان للشخصية الحضارية لانسان هذا البلد.

تفاصيل النشر:
المصدر: الحياة
الكاتب: ماجد السامرائي
تاريخ النشر(م): 7/4/2005
تاريخ النشر (هـ): 28/2/1426
منشأ: بغداد
رقم العدد: 15346
الباب/ الصفحة: 20 - آداب وفنون

ومع ان الكتب والدراسات التي تناولت الفن التشكيلي قد همشت، أو تجاوزت"فن الخزف"فلم تتوقف عنده إلا بالاشارة - ربما بفعل النظر إلى المألوف والمعتاد من الفن - إلا ان معظمها لم يستطع تجاوز فنان من وزن سعد شاكر، وهو الذي جعل لهذا الفن روحاً جديدة، وأكسبه، من خلال أعماله، حيوية واضحة أكد بها حضوره فناناً له أسلوبه وشخصيته الفنية، ولعمله خصوصيته وأهميته... فهو في الوقت الذي يُعتبر فيه"من أشد الفنانين الخزّافين تمسكاً بنقاوة المبادئ والأصول الخزفية"، نجده قد نحا بفنه هذا"منحى تشكيلياً"، أو وضع أعماله في ما هو قريب من ذلك من خلال"صوغ"عمله في صور وأشكال"طبيعية".